المحاضرة الرابعة مجازر 8 مايو 1945 وتداعياتها: تحتل حوادث مكانة هامة في تاريخ الحركة الوطنية، ورغم طابعها الدموي إلا أنها ساهمت في صنع جيل مؤمن بالعمل الثوري المسلح، واعتبرت تمهيدا لثورة نوفمبر 1954، وقد شهدت الحركة الوطنية قبلها نشاطا ملحوظا، وعلقت الآمال على حركة أحباب البيان والحرية التي تمكنت من جمع أطياف الحركة الوطنية، وجعلت الإدارة الفرنسية تتخوف منها، وكذلك المعمرون الفرنسيون، لذا حاولوا تحطيمها، وكان هناك حماس جماهيري عام،[1] فالجو السياسي كان مشحونا ووضعت الحرب أوزارها والعالم يستعد لمرحلة جديدة، ونتيجة أهمية حوادث مايو وآثارها على النضال في الجزائر تساءل بعض الباحثين عن حقيقتها فهل كانت ثورة وطنية فاشلة؟ أو كانت مجزرة دبرها الفرنسيون ضد الجزائريين الأبرياء بينما كانوا يحتفلون بانتصار الحلفاء الذي كان يرمز إلى انتصار الحرية والديمقراطية؟[2] ووصف أحد المصادر الحوادث على أنها صفحة سوداء(في تاريخ فرنسا) كتبها الشعب الجزائري بكفاحه البطولي،[3] وكانت بالنسبة لبعض الفرنسيين "الحركة ذات طابع تمردي سياسي ومتعصب" ورأوا أن جماهير المتظاهرين خضعت لحركة مدبرة تتجه للمطالبة باستقلال الجزائر، ووصفها شارل روبير أجيرون دون تردد " بمحاولة تمرد وطني لم يحالفها التوفيق، ولذلك فقد كان نضال الجزائريين لاسترجاع كرامتهم واستقلالهم سيستأنف قريبا.[4]"، إذن وصفت بالحوادث، والثورة، التمرد، المجازر، العصيان، الصفحة السوداء في تاريخ فرنسا...ومن العدل أن لا نربطها بيوم واحد هو 8 مايو بل على الأقل الأسبوع الذي يليه كان كله دامي، فهي أكثر من يوم ولا تقل عن أسبوع شهدت على تضحيات الجزائريين وعلى حقد غلاة المعمرين والسلطات الفرنسية، دون أن ننسى أن المظاهرات قد انطلقت في 1 مايو لمساندة مصالي الحاج، وشهد الجماهير فيها عنف فرنسا.

لقد كانت حوادث مايو 1945 مأساوية فعلا، وهناك من حمل مسؤوليتها ووجه أصابع الاتهام للوطنيين وحملهم مسؤولية التخطيط لثورة شاملة، تم اكتشافها فتعثرت وفشلت، وهناك من وجه الاتهام للفرنسيين سواء السلطة أو المعمرين، وحملهم مسؤولية التخطيط وتنفيذ المجزرة، للقضاء على الحركة الوطنية التي اجتمعت تحت مظلة واحدة مظلة أحباب البيان وأصدرت قبلها بكل قوة مذكرة قدمت للحلفاء، وصاغت البيان وحددت أهداف الجزائريين ومستقبلهم، هذه التحركات كانت تبدو قوية وخطيرة للفرنسيين، حتى أن الجنرال "كاترو" الذي كان حاكما عاما للجزائر، عند صدور البيان وتأسيس أحباب البيان والحرية أكد على ضرورة القضاء على هذه

العاصفة وهو يعني بذلك الحركة الوطنية، وخلال مارس 1945 عبرت المجلة الكاثوليكية (الوقت الحاضر- لوتون بريزون)بأن الجزائريين أصبحوا يشكلون خطرا وأن الوضع أصبح صعبا على الفرنسيين.[5]

1الوضع العام في الجزائر قبل حوادث مايو 1945: كانت الحركة الوطنية بداية 1945 تشهد تقاربا وتسعى جاهدة لإعداد الرأي العام وصنع جو من الحماس لتحقيق مطالبها، خاصة منذ يناير 1945 ففي هذا الشهر انعقد في الجزائر مؤتمر حركة أحباب البيان وأسفر عن المطالبة بإلغاء نظام البلديات المختلطة، والحكم العسكري في الجنوب، وجعل اللغة العربية لغة رسمية، وتلا ذلك اجتماع أخر لأحباب البيان خلال مارس من نفس السنة طالب فيه الحاضرون بإطلاق سراح مصالي، وصوتوا على لائحة في صالح برلمان وحكومة جزائرية، ودار الحديث عن القوة العربية داخل البلاد، وتفاءلت الحركة الوطنية بميلاد الجامعة العربية "مارس 1945"، وارتفعت معنوياتها للعمل والاتحاد أكثر، وظهرت المنشورات الوطنية الناقمة على الاستعمار والداعمة للجزائريين وهويتهم، والمحرضة على عدم المشاركة في الانتخابات البلدية التي كان الفرنسيون يحضرون لها، والساخرة من الإصلاحات الفرنسية خاصة مرسوم مارس 1944، وحرّكت عودة الجنود الجزائريين الذين ساهموا في تحرير فرنسا وأوروبا فضول الناس، وانتشرت روايات كثيرة عن الحرب وأهدافها ومشاعر الشعوب فيها.[6]

عمدت السلطات الفرنسية إلى إعادة مصالي الحاج للسجن في "بوغار"، (سعى فرحات عباس لتخفيف السجن على مصالي قليلا سنة 1943فحول من سجن لامبيز ثم إلى الإقامة الجبرية في بوغار ومنها إلى قصر الشلالة)بعد أن كانت خففت عنه وكان ذلك يوم 18 أبريل 1945، وقد أثار هذا سخط الجزائريين، ونظمت مظاهرات لصالح إطلاق سراحه، وبدلا من إطلاق سراحه نقلته السلطات الفرنسية إلى قصر الشلالة ثم المنيعة في أعماق الصحراء ومنها إلى برازافيل بإفريقيا، واعتبرت هذه الحركة تحديا لمشاعر الجزائريين، في وقت كان العالم والجزائر يستعدون للاحتفال مع الحلفاء بانتصار الحرية والديمقراطية.[7]

وقبل الحوادث بأسبوع أي في الفاتح مايو نضم حزب الشعب -كان ممنوعا حينها-مظاهرات احتجاج ضد إبقاء مصالي الحاج في الإقامة الجبرية، وأدت في العاصمة إلى مقتل جزائري وجرح عدد من المواطنين، وتظاهر في

المدينة أكثر من أربعة ألاف فلاح، وكانت تلك المظاهرات بمثابة إنذار خطير، وكان الوضع مكهربا، لكن السلطات الاستعمارية لم تحرك ساكنا مما يثير الدهشة والاستغراب.[8]

نتج عن مشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الثانية انتشار الوعي السياسي، مثلهم مثل العديد من البلدان المستعمرة، فانتشرت الأفكار الداعية للحرية والتحرر، وكان نزول الحلفاء 8 نوفمبر 1942 في الجزائر، مناسبة للقطع الصلة بين الجزائر وفرنسا ولو ظاهريا، كما شاهد الجزائريون بأم أعينهم انكسار فرنسا أمام الألمان 1940، ولم تكن إصلاحات ديغول مقبولة من طرف الحركة الوطنية فمرسوم مارس 1944لم يرق لطموحات الحركة الوطنية التي شهدت تقاربا ملحوظا، وطرحت فكرة الاستقلال والحرية، وشكل الاحتفال بعيد العمال في 1 مايو فرصة مواتية للإعراب عن رغبات الجزائريين، الذين تشبعوا بالأفكار التحررية التي طرحت على مستوى العالم ومنها الميثاق الأطلسي.[9]

لقد كان الوضع العام في الجزائر يجمع بين الوعي الوطني، وانتظار ساعة الخلاص من طرف الجزائريين، في حين كان فرنسا تقابل مطالب الجزائريين وانشغالاتهم بالاستعلاء واللامبالاة، في هذه الظروف حدثت المجازر فمن يتحمل مسؤوليتها يا ترى؟ كثرت الآراء في هذا الجانب ولكل رأي دوافعه الخاصة سواء فيما يتعلق أسباب المجازر أو من يتحمل المسؤولية،[10] فهناك من يحمل فرنسا الاستعمارية المسؤولية كاملة، وهناك من يحمل الحركة الوطنية المسؤولية على أساس أنها من دعا إلى المظاهرات، وأن عباس ومصالي والإبراهيمي قد اجتمعوا سرا في قصر الشلالة نهاية شهر أبريل، واتفقوا على برنامج محدود وهو مهاجمة الإدارة الفرنسية والاستعمار، لكن هناك من يؤكد أن الزعماء الثلاثة اتفقوا على القيام بمظاهرة عامة يوم احتفال الحلفاء بالانتصار، وكان الهدف من هذه المظاهرة هو الضغط على الفرنسيين لإظهار قوة الحركة الوطنية ووعي الشعب، وهناك من الفرنسيين من يحمل الشرطة مسؤولية إطلاق النار وتحويل المظاهرة إلى مذبحة، لكن التقارير الرسمية مثل تقرير الشرطة وتقرير وزير الداخلية وتقرير لجنة توبير، تلوم المتظاهرين وتتهمهم بإطلاق الرصاص أولا، والحقيقة أنه لا توجد إجابة أكيدة حول من أطلق النار أولا حسب أبو القاسم سعد الله، لكن الأكيد أن المظاهرات كان من الممكن أن تنتهي بأقل الخسائر كما يقع في مناسبات كثيرة، ولكن السلطات الفرنسية كانت تتحين الفرصة للقضاء على الجزائريين، وأن

---

[10] للاطلاع على بعض التفسيرات والآراء من جانب الجزائريين أو الفرنسيين وتحديد المسؤولية القانونية عن الجرائم المرتكبة ينظر: عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، ابلكفاح...، ج.2، ص-ص.319-352، وأيضا: وهيبة بشرير وحليس لخضر، "أحداث الثامن ماي 1945 دراسة تاريخية وقانونية"، المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية، مج.6، ع.1، 2022

القمع كان لا مبرر له، كما أنه كان مبالغا فيه لدرجة حير المهتمين بالحادث، واستخدمت فرنسا كل قوتها: المشاة، البحرية، الطيران، إلى جانب الشرطة والدرك، كما شارك غلاة المعمرين في قتل وإبادة الجزائريين.[11]

2أسبابها: ظاهريا كانت حوادث ماي مرتبطة بانتصار الحلفاء وهزيمة ألمانيا النازية، فخرج العالم للاحتفال، ومثل شعوب العالم خرج الشعب الجزائري محتفلا في 8 ماي 1945، ورفعت الجماهير لافتات كتب عليها "تحيا الجزائر، أطلقوا سراح مصالي الحاج، تحيا الجزائر حرة مستقلة..."، إلا أن السلطات الفرنسية قامت بقمع هذه المظاهرة السلمية وحولتها إلى مجزرة وبرك من الدماء، ورفعت فرنسا والمعمرون شعار "الموت للعرب"، وترتب عن هذه المجزرة الرهيبة استشهاد 45 ألف من الجزائريين، وأعقب هذه الأحداث حل حركة أحباب البيان والحرية، وإلقاء السلطات الفرنسية القبض على فرحات عباس ورفيقه الدكتور سعدان.[12]

وذهبت بعض الكتابات أن حوادث مايو هي عبارة عن ثورة طعام أي مرتبطة بالأسباب الاقتصادية، وآخرون يرجعونها لدوافع سياسية خاصة وأن الجزائريين لم يستفيدوا شيئا من الحلفاء، كما أن الفرنسيين كانوا منشغلين بحربهم ضد ألمانيا، مضطربين في إدارتهم في الجزائر حتى أنهم غيروا الحكومة العامة عدة مرات في وقت وجيز، وبعد الجنرال كاترو الذي تولى في شهر يونيو 1943 ، خلفه "شاطينو" في شهر سبتمبر 1944، وهذا هو الذي وقعت مجازر مايو في وقته، ورغم ما أشيع عنه بأنه دبلوماسي وحكيم حتى أن المعمرين كانوا ضده وأطلقوا عليه اسم ابن مُحَمَّد شاطينو سخرية به، واتهاما له بأنه متعاطف مع الجزائريين، لكن إشرافه على المجزرة يطرح التساؤل كيف وصف بالدبلوماسي ومحب الجزائريين؟ إذن أصر الجزائريون على المطالبة بحقوقهم، لكن السلطات الفرنسية لم تقم بأي تجاوب معهم، فرفعت الحركة الوطنية شعار التضحية من أجل استقلال الجزائر، وهناك من يرجع المجازر للعامل الديني وصراع المسلمين مع الكفار، ذلك أن الجزائريين عند بعض الكتاب كانوا حاقدين على الفرنسيين وكانوا معادين لهم، وكان سكان الأرياف والمدن مستعدون لنداء الجهاد عند أول إشارة، وحاول بعض الفرنسيين ربط ما يحدث في الجزائر بفلسطين والحركة الصهيونية، أو لتأثير نهاية الحرب العالمية الثانية على الجزائريين بكل ما حملته من إيجابيات وسلبيات.[13]

وهناك من ذهب بعيدا في سبب حوادث مايو وطرح فكرة التدخل الأجنبي من الألمان والعناصر الفاشستية، ومنهم من اتهم فكرة العروبة والجامعة العربية.[14]

لكن الأسباب الحقيقية لها كانت عميقة وتلخصت في إصرار الجزائريين على حقوقهم، أمام رفض وتعنت فرنسا وسعيها لتحطيم الحركة الوطنية، واعتبر فرحات عباس أن حركة أحباب البيان والحرية قد أزعجت السلطات الفرنسية والمعمرين، فقابلوها بالسخط والعداء، وعقدوا العزم على تحطيم الجميع، وبينما كانت الحركة تقوى وتنتشر، كان المعمرون يحيكون لها المؤامرات في الخفاء، وكانوا يدبرون أمرا ليتمكنوا من القضاء على الحركة، فمنع عباس من المشاركة في الانتخابات البلدية التي جرت في فرنسا، وأجلت في الجزائر خشية انتصار القوات الشعبية، وفي شهر أفريل 1945أسّر أحد الفرنسيين للدكتور سعدان أن اضطرابات ستقع عن قريب يحلّ على أثرها حزب عتيد، وردّد أحد المعمرين بأن الجزائر ستكون مسرحا لمشاغبات يضطر الجنرال ديغول على إثرها عن التراجع عن الإصلاحات، وإلى إلغاء مرسوم 7 مارس، ولم يمض أسبوعان حتى صارت مدينة سطيف مسرحا لحوادث خطيرة، وارتكبت فضائع تفوق الوصف، وضربت المدينة التي كانت مهدا للبيان ومهدا لحركة أحباب البيان والحرية في الصميم، وكل هذا لقطع رأس الحركة، وهذه هي عادة الاستعمار، لكن البلبلة التي حاكت فرنسا خيوطها ليلا ونفذتها نهارا، للقضاء على أحباب البيان والحرية، استفحلت وتفاقمت وصارت فتنة كبرى.[15]

من جهته أيضا عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون يؤكد على أن السبب في المجازر هو فرنسا التي نصبت كمينا للجزائريين، الذين أصروا على المطالبة بحقوقهم أمام تعنت فرنسا، فقد كان شاهدا ووصف مظاهرة حضرها بنفسه وقادها رفقة الإخوان المناضلين، وذلك بواد الزناتي، وصف المظاهرة بأنها كانت سلمية وهادئة بعيدة عن كل عنف، وصدرت الأوامر بعدم حمل أي سلاح حتى العصي، ولكن الأمر الذي يحرص عليه المناضلون هو رفع اللافتات التي تعكس رغبة الشعب وتعرب عن تطلعاته بكل صراحة، كما يرفع العلم الجزائري للإعراب عن إرادة الشعب في الحرية والاستقلال، وفنّد العقون الرأي الذي يزعم أن حزب الشعب اتخذ من المظاهرات يوما لإعلان الثورة، فقد كان مسؤولا في الحزب ولم يسمع أبدا بهذا، ولم يعرف أن الحزب له منظمة مسلحة حينها، وأكد شهادته بنقل شهادة مُحَمَّد يوضياف حيث قال: "ومن الخطأ الاعتقاد أو الادعاء بأن هؤلاء الوطنيين يريدون في هذه المناسبة تنظيم ثورة، وإنما كل ما حدث إنما هو نتيجة الاستفزاز البوليسي..." إذن مربط الفرس كما أشار العقون:"بمرور الزمن فقد انكشف كل شيء وظهرت أنها مؤامرة استعمارية، قدر لها أن تنجح في بعض نقاط

الوطن حيث يوجد رؤوس الاستعمار العنصريون الحاقدون."وقد تحقق بنفسه مع بعض المسؤولين في الحركة بناحيته من الأمر،[16]من خلال هذه الشهادة الثانية يتأكد لدينا أن فرنسا نصبت كمينا للجزائريين للقضاء عليهم وعلى الحركة الوطنية، خاصة لما بدأت مطالب الحرية والاستقلال تطفو على السطح، كما بدأت الرغبة في تأسيس دولة جزائرية تشتد عند الجزائريين، ورب ضارة نافعة لقد كانت فرنسا تطمح للقضاء على الجزائريين ومطالبهم وقادتهم لكن لم تكن تعلم أنها بذلك تزرع بذور الثورة المسلحة التي اندلعت عام 1954.

يكاد قادة الحركة الوطنية يتفقون على أن من أوصل مظاهرات 8 مايو إلى حوادث دامية، هي المكيدة والمؤامرة التي دبرتها الإدارة لتلقين الجزائريين درسا لن ينسوه، حتى ولو لم يعترف الفرنسيون بذلك.[17]

3مجرياتها: منذ الفاتح مايو عرفت الجزائر بداية المظاهرات، وبداية مايو جمعت بين مناسبتان كبيرتان: عيد العمال ونهاية الحرب لكن لم يعلن بعد عن الاحتفال رسميا، وقد بدأ الاحتفال رسميا في السابع من مايو عندما أعلن الحلفاء عن نهاية الحرب، وشرع الفرنسيون سريعا في تنظيم الاحتفالات، لكن الجزائريين قاطعوا ذلك ونظموا مهرجاناتهم الخاصة بهم، وكانت هتافات الجزائريين تدور حول المناداة بحرية واستقلال الجزائر، وإطلاق سراح مصالي الحاج، ولم تظهر عبارات العداء للفرنسيين، لكن مزق العلم الفرنسي حسب بعض المصادر(7 مايو)، وكان الجزائريون قد حصلوا على إذن من الفرنسيين بتنظيم المظاهرات بهذه المناسبة، والمشاركة في أفراح انتصار الحلفاء، وكانت مختلف المدن الجزائرية تحتفل وليس سطيف فقط.[18]

أما اليوم الثامن من مايو الذي كان الاثنين[19] حسب بعض المراجع، في حين ذكر فرحات عباس أنه كان اليوم الثلاثاء، وهو اليوم الذي يعقد فيه السوق الأسبوعي ويأتي لمدينة سطيف ما بين خمسة آلاف إلى خمسة عشر ألفا من الفلاحين، وكانت روايته حول المجازر بأن السلطات الاستعمارية كانت قد أعطت رخصة القيام بمظاهرة وادعت أن بعض المسلمين رغبوا في وضع إكليل من الزهور على نصب الأموات، لكن بقي أمر الرخصة غامضا فلمن أعطيت؟ فنائب والي قسنطينة يدعي أنه لا يعرف إلى من منح الإذن بالتظاهر، وادعى أنه كان يعتقد أنه أحد أعضاء أحباب البيان والحرية، لذلك لم يطلب منه بطاقة تعريف أو طلبا مكتوبا كما يطلبه القانون والعرف، ولم يكن شيخ بلدية سطيف على دراية بأمر المظاهرة والرخصة، والإذن الشفوي غير المألوف، فوالي قسنطينة هو من وافق على تلك المظاهرة، واشترط إطلاق الرصاص على المتظاهرين في حالة حمل الراية الجزائرية،

واحتار فيه عباس فرحات وأكد أنه مهما يكن من أمر فإن مظاهرة الثامن مايو التي كانت أشد خطرا من سابقاتها، أحرزت على الرخصة القانونية، واكتشف فيما بعد فرحات بأن هنا نصب الاستعمار كمينه، وظهر أنه كان وراء المصيبة، فقد اشترط إطلاق الرصاص على المتظاهرين إن حملوا الراية الجزائرية،[20] وماذا كان الاستعمار يتوقع أن يحمل الجزائريون مثلا الراية الفرنسية؟

ويكمل فرحات شهادته بأن الموكب تشكل في حي المحطة قرب المسجد الجديد، ثم توجه للمدينة وكان محفوفا بالشرطة، ومشى ألف متر تقريبا حاملا الراية الجزائرية، وعندما اقترب من إحدى المقاهي وهو "مقهى فرنسا الكبير"، وسط المدينة برز مسؤول الشرطة، وحاول نزع الراية الجزائرية من يد متظاهر، فصمد المناضل الجزائري، فأطلقت الشرطة الرصاص وأودت بحياة جزائري، وجرحت عددا من المتظاهرين، واندلعت نار الفتنة، وانطلق المتظاهرون لمطاردة الأوروبيين، وأطلقت الشرطة الرصاص، وتدخل الجند لتعزيزهم، فاستشهد عدد من المسلمين وجرح الكثير، وانتشرت الحوادث واجتاحت أرياف عمالة قسنطينة وقراها، وحافظ بقية الشعب على الهدوء امتثالا لأوامر مسؤولي حركة أحباب البيان والحرية، ولم يشارك في هذه الحوادث، وتكالب جيوش اللفيف الأجنبي والسنغاليون والطابور المغربي تحت قيادة الجنرال "دوفال" والكولونيل "بورديا" على القرى والمداشر الجزائرية، بالقتل والسبي والتدمير، وساهم المعمرون في القتل حتى أنهم كونوا فرقا عسكرية للقتل وحملوا شعارهم القديم"الموت للعرب"، وتدمّرت قرى وذهب ضحية الوحشية الكثيرون في سطيف، وخراطة، ووادي المرسى، قالمة، عنابة...[21] لأن المظاهرات انتشرت في مختلف أنحاء البلاد، وليس في سطيف وحدها، فقد امتدت لمدينة الجزائر، وبجاية، باتنة، خنشلة، بسكرة، عنابة، قالمة، خراطة، القبائل الكبرى، وغيرها، لكن الأكثر عنفا كانت في سطيف وقالمة وخراطة والنواحي المجاورة.[22]

رفع المتظاهرون العلم الأخضر ذا الهلال، ولافتات عليها عدد من الكتابات منها: تحيا الجزائر مستقلة، يسقط الاستعمار، أطلقوا سراح مصالي، و بعض اللافتات يسقط الحزب الشيوعي،[23] وشاركت الكشافة في المظاهرات، أما عن حامل الراية فقد أشار أبو القاسم سعد الله أنه كان أحد أطفال الكشافة(فرحات عباس وصفه بالمناضل ولم يكن طفلا)، ولما وقع شهيدا بعد إطلاق الرصاص عليه[24]، تقدم آخر وحمل العلم، ثم انقسمت المظاهرة مجموعة واصلت المسيرة إلى هدفها ووضعت باقة الزهور على قبر الجندي المجهول، والثانية انتشر أفرادها في

---

[24] تشير بعض المصادر أن الشاب هو الكشاف شعال بوزيد ينظر: محمد الطيب العلوي، ص.207

شوارع المدينة واشتبكوا مع من قابلهم من الفرنسيين، ومات نتيجة ذلك عدد من الطرفين، والسؤال الملح هنا من أطلق الرصاصة أولا؟[25]لأن الذي فعل ذلك هو الذي أشعل فتيل المجزرة.

شارل أندري جوليان الذي اعترف بالقمع الوحشي لكنه حمل مسؤولية الحوادث للمسلمين، واعتبرها عبارة عن "تقتيل الأوروبيين بسطيف"، وكانت المجريات حسبه إذ شن قسم من المتظاهرين صمد بعد إطلاق النار، معركة مع الشرطة، وانتشر في شوارع المدينة وجرح وقتل ضربا بالعصي وطعنا بالخناجر، وأسفر الأمر عن 27 قتيلا، وعدد من الجرحى، وقطعت يدا سكرتير فرع الحزب الشيوعي، وواصل الجزائريون حسبه دائما في الليلة الموالية القتل والنهب وإضرام النيران، وأشاعوا بأن الثورة عامة، وبأنه تم تنصيب حكومة عربية بالعاصمة، واعتبرهم وزير الداخلية ينتمون لأحباب البيان والحرية، ولم تسدد الضربات لمخازن التموين بل للبنايات العمومية والموظفين، وحوصرت مدن مثل قالمة.[26]

وكانت المظاهرات مصحوبة بالقمع الفرنسي من كل جانب، حيث أقامت جماعات من المعمرين محاكمات للعرب وقتلتهم رميا بالرصاص، ولم تتدخل الحكومة ولم تعاقب على تلك التجاوزات، بل قامت بحل حركة أحباب البيان والحرية، وقنبلت الباخرة "دوجي تروان" دواوير وقرى "تافينونت وواد المرسي"وأجرت الحكومة الفرنسية اعتقالات واسعة النطاق، وحكم على المناضلين من أحباب البيان والحرية، وحزب الشعب الجزائري، ونقابات العمال والعلماء، وقدماء فمنهم من وضع في المحتشدات، ومنهم من أحيل على المحاكم، ونفي مصالي الحاج إلى إفريقيا الوسطى"برازافيل الكونغو".[27]واستعمل الفرنسيون طريقة "العمليات الكاسحة"بحيث لا يتركون في طريقهم منزلا إلا فتشوه وخربوه، وبهذه الطريقة أجهزوا على عدد من القرى بضربها بالقنابل من الجو بأمر من وزير الطيران "تيون" الشيوعي في حكومة ديغول، وضربت القوات البحرية عددا من المدن الساحلية أيضا، أما المشاة وفرق اللفيف الأجنبي فقد كانت تستعمل الدبابات وتدخل الديار وتقتل وتخرب وتنتهك الحرمات.[28]

ووصف شارل أندري جوليان القمع في سطيف بالوحشي وكتب:"لقد كان القمع ضاربا لا يرحم، وفي الحقيقة خاليا من الإنسانية لأنه فاقد للتمييز، فكل عربي لا يحمل الساعدة القانونية كان مقتولا بسطيف حيث أعلن القانون العرفي، وفي الريف كان الجنود السينغاليون وجنود اللفيف ينهبون ويحرقون ويغتصبون النساء ويقتلون بكل حرية...ودمرت الطائرات "مشتى" وهي مجموعات من المساكن تعد من 50 إلى 1000ساكن، ولما علم

سكان قالمة الأوروبيون بنهب القرى المجاورة انتابتهم حمى المحاصرة، فنظموا حراسة مدنية لإعانة الجيش على الدفاع عن المدينة ضد جموع الآلاف العديدة من الأهالي المحيطين بها، وأرسلوا بعثات انتقامية، وصرعوا رميا بالرصاص وبدون محاكمة عشرات من الأهالي أخذوهم على غرة، وشاركت في القمع عناصر من أقصى اليسار ومن الفاشيين على حد سواء."[29]

وفي تقرير نشرته إحدى المجلات الناطقة باسم الجيش الأمريكي بعد الحوادث مباشرة إن الفرنسيين استعملوا عددا كبيرا من الطائرات لضرب المدنيين الجزائريين، وقد كتب التقرير في 28 مايو ونشر في أول يونيو ومما ورد فيه أن قاذفات القنابل الفرنسية قد حطمت قرى بأكملها في منطقة الحادثة أثناء حملة دامت تسعة أيام، وقد طار الطيارون الفرنسيون ثلاثمائة مرة في يوم واحد مستعملين القاذفات الأمريكية الثقيلة والمتوسطة...حتى سويت الأرض بعدد من القرى والدواوير، ثم طارت الطائرات المقاتلة الفرنسية البريطانية الصنع خلف القاذفات الأمريكية لتسحق السكان الهاربين من المنازل التي تهدمت، وترمي القنابل على المخابئ العربية في الجبال، وبعد أن وصف التقرير المجازر ذهب إلى أن النتيجة كانت مقتل وجرح أكثر من عشرة آلاف جزائري، و97 فرنسيا.[30]

وصف صحافي المجازر: "أبدا...في الحقيقة ...منذ عام 1842 ومنذ المرشال سانت آرنو، لم تعرف الجزائر حتى في أيامها السوداء في تاريخها قمعا أكثر ضراوة ضد شعب لا يملك وسائل الدفاع...في الطرقات...في الدروب...في الحقول...في الشعاب...في الأودية، ليس هناك إلا الجثث مبقورة، أمعنت فيها الأفواه المدماة للكلاب الجائعة تحت التجمع المحزن للنسور التي كونت دائرة...هنا وهناك قرى بكاملها سحقت، مبادئ الإنسانية انهارت تحت الرصاصات القاتلة من طرف المتمدنين... أكوام وأكداس من الموتى."[31]

كان العنف المستخدم من طرف فرنسا أكيدا ولا يعقل، ولا يمكن تبريره وهو ما أشار إليه شارل روبير أجرون: "إن عنف القمع لم يكن على أي حال قابلا للشك، ويمكن تفسيره وليس تبريره بضعف فرنسا العسكري، فقد اعتقد الجنرال "ديفال" قائد منطقة قسنطينة بأن عليه الرد بقوة لمنع عدوى التمرد، ولقد ظهر تبريره صحيحا على المدى القصير، ولكن هوة الحقد والكراهية بين الجاليتين الجزائريتين لن يكون ممكنا ردمها أبدا."[32]

ومن الضروري أن نشير أن مجازر مايو وقعت في المدن خاصة سطيف خراطة وقالمة، ووقعت في أرياف هذه المدن، ومعظم الحوادث المأساوية كانت من نصيب الريف، وكان من الممكن أن تنتهي في 8 مايو، لكن تطورت الوضعية سريعا في الأيام الموالية، حتى أن ما حدث في سطيف وقالمة اعتبر مدخلا ومقدمة المؤامرة التي كان مسرحها الأيام التالية بحجة اندلاع حركة العصيان، وضرورة قمعها، وكانت الساحة الرئيسية للحوادث هي: مدينة خراطة والريف المجاور لها، ومدينة قالمة ومنطقتها الريفية القريبة منها، كانت المظاهرات في سطيف صباحا، وأظهر المتظاهرون نواياهم السلمية في عدم حمل أي سلاح، وتفرق المتظاهرون عندما اعترضنهم قوات الشرطة، بعد إطلاق النار ونزع العلم من المتظاهرين، ومن المؤكد أنها وقعت اعتداءات على بعض المحلات وعلى الأشخاص من الأوروبيين، وتؤكد الإدارة الاستعمارية نفسها أن الهدوء عاد للمدينة عند حدود الساعة الحادية عشر صباحا، بخصوص قالمة انطلقت مظاهراتها بعد الساعة الثالثة والنصف يوم 8 مايو، واعترضتها الشرطة الفرنسية وعلى رأسهم رئيس الدائرة "أشياري"، وزعمت المصادر الفرنسية أن المتظاهرين رفضوا الاستجابة لأوامر"أشياري"، وحاولوا اختراق الحواجز التي وضعتها الشرطة وبدؤوا في إطلاق النار، لقد بررت فرنسا عملها بأنها أخمدت حركة العصيان، لكن الحقيقة لم يكن عصيانا كما وصفته، وإن وقعت بالفعل بعض الحوادث مثل مهاجمة بعض المزارع التابعة للمعمرين، وقتل بعض من هؤلاء وبعض أعوان الإدارة الفرنسية، لكن الأمر لم يصل حد العصيان،[33] الذي أخرجت فرنسا لمواجهته قواتها البرية والبحرية والطيران.

لقد رفضت أغلب الأسباب المطروحة على أنها وراء حوادث مايو، فلم تكن ثورة اقتصادية، أو بتحريض أطراف خارجية، كما أن مسؤولية الحركة الوطنية لا أساس لها من الصحة، وكما أكد جوليان لو ترك المتظاهرون وشأنهم لم تحدث اضطرابات خطيرة، فأحسن وسيلة لإثارة الفتنة هي انتزاع اللافتات من المتظاهرين، مما سمح لأقلية منظمة ومسلحة وعازمة على ما لا يحمد عقباه بإحداث مجزرة، وحسب جوليان دائما كيف أعدت لها العدة ومن كان على رأسها؟ إنه أمر مجهول[34] لكن بالنسبة للجزائريين الأكيد أن السلطات الفرنسية هي من أوصلت الأمور إلى ما لا يحمد عقباه.

رغم أن المجازر شملت مدنا وقرى معينة إلا أن أصداءها وأخبارها انتشرت في كل البلاد، وسمعت المدن والقرى الأخرى عن أخبار المظاهرات السلمية التي شهدتها بعض المدن وتميزت برفع العلم الوطني لأول مرة، وقوبلت بقمع الشرطة، وانتشرت الأخبار المقلقة والمتضاربة فأحدثت غليانا كبيرا بين الذين لم يشاركوا، وكان الكبار

يتحدثون بألم واستنكار في المقاهي والأسواق الأسبوعية عن المظاهرات التي جرت في عدة مدن من الشرق الجزائري، وقابلتها فرنسا بالمطاردات والتقتيل وعمليات التمشيط التي استمرت لعدة أيام تحت قيادة الجنرال ديفال، وبمشاركة اللفيف الأجنبي والطابور المغربي والجنود السنغاليين، وتضامن بقية الجزائريين مع إخوانهم بالحزن، وتأكدوا أن على الجزائريين السير نحو الكفاح المسلح من أجل القضاء على الاستعمار الفرنسي.[35]

مجريات حوادث ماي1945 من خلال كاتب أجنبي: للجزائريين روايتهم فيما وقع، ووجهة نظرهم في تفسيره، ويقابلهم الكتاب الأجانب لذلك اخترنا واحدا منهم لنتمكن من معرفة الرأي الآخر:

-أشار شارل روبير أجيرون أن المنظمات الوطنية اختارت الأول من مايو للمطالبة بإطلاق سراح مصالي واستقلال الجزائر، وسارت هذه المظاهرات في كل المدن الجزائرية، وكانت مواكب استعراضية مسلمة تجنبت المواكب الاستعراضية النقابية الأوروبية، وهتف المتظاهرون بشعارات وطنية، وكانت النساء تزغرد لتحميس المتظاهرين الذين رفعوا أحيانا العلم الجزائري حيث أشار إليه الكاتب بأنه "العلم الأخضر ذا النجمة والهلال".[36]

-كانت السلطات الفرنسية قد بدأت حملة من الاعتقالات انطلاقا من 3إلى 6 مايو[37]، وفي 8ماي في سطيف انقلبت المظاهرات التي كانت مرخصة بشرط ألا يحمل المتظاهرون لافتات وطنية إلى اضطرابات دامية، وكان المتظاهرون الذين تراوح عددهم فيما بين 8000 و10000 شخص قد جاء أكثرهم من البوادي المجاورة، وكانوا مسلحين بهروات وبأسلحة بيضاء وبمسدسات، ولما أراد البوليس أخذ اللافتات والعلم الجزائري سمعت طلقات نارية، تفرق المتظاهرون على إثرها بينما اتجه البعض إلى الاعتداء على الأوروبيين الذين صادفوهم، حتى أولئك الذين كانوا معروفين بأنهم ليبراليون، وسقط 29قتيلا وعدد كبير من الجرحى، وكان من بين الموتى رئيس المندوبية الخاصة وسكرتير الفرع المحلي للحزب الشيوعي الذي قطع زنداه بضربات "شاقور".[38]

وسارع مبعوثون في سيارات تاكسي أو سيارات خاصة إلى البلديات الواقعة بين سطيف والبحر معلنين العصيان، فهوجمت مدينة عين الكبيرة من سكان الدواوير المحيطة وهم ينادون إلى الجهاد، وأزيل البرج وقتل مسؤول الإدارة ونائبه وقابض البريد وعشرة أوروبيين آخرين، وقتل فرنسيان في وادي المرسى واغتيل رجل الدين القس "نافارو" قرب أوريسيا، وفي "سيلاق" (بني فودة) حاليا وفج مزالة أحرقت مزارع ومنازل وقتل مستوطنون واعتدي

على نساء، وفي 9 مايو استبيحت مدينة خراطة واضطر 500فرنسي للالتجاء في منزل محصن ولكن عشرة منهم قتلوا، وحوصر مركز "شوفروي" (بني عزيز حاليا) من رجال مسلحين بأسلحة أوتوماتيكية مرددين صيحات الجهاد، وأحرقوا 25 منزلا، وسرعان ما أصبحت المنطقة المنحصرة بين بجاية وعين عباسة وسطيف والعلمة وفج مزالة وبني عزيز في حالة تمرد وعصيان، وأخليت قرى الاستعمار من دون شك من طرف الجيش إلا مثيري الاضطرابات كانوا يسيطرون على الجبال ويغتالون حرس الغابات.[39]

-واندلعت في مدينة قالمة أيضا اشتباكات قاسية بين البوليس ومتظاهرين وفي قرى الشمال الشرقي القسنطيني جرى الاستيلاء على مزارع ونودي بقتل الأوروبيين، لقد نهبت بلدة "لابان" بالكامل ودمرت واحتلت بلدة "فيلار" أما بلدة "بوتي" فقد نهبت ثمانية منازل تماما، لم تهاجم المحاصيل أو الأنعام بل هاجم المتمردون، المعمرين ورجال الإدارة فقط وممتلكاتهم العقارية، ولكنهم لم يمسوا مساجين الحرب الإيطاليين الذين كانوا يشتغلون في مزارع المعمرين، ولما كانوا يصطدمون برجال الميليشيات كانوا يصرخون باتجاههم "نقبل الموت من أجل وطننا وعقيدتنا"، ولم تشارك بعض الدواوير في الأحداث رغم أنها معروفة بالوطنية.[40]

-ومنذ 13 مايو كان الهدوء قد رجع ولكن كان على الجيش القضاء على بعض نقاط التمرد أو السيطرة على تجمعات لجوء في الجبال وإخماد محاولتي عصيان، واحدة في سعيدة والأخرى في الناصرية حاليا، واستمرت عمليات التمشيط حتى بداية شهر يونيو، واشترط بعض الضباط الخضوع العلني من آلاف المسلمين وطلبهم الأمان جثيا على ركبهم والصياح بصوت عال "تحيا فرنسا".[41]

-وأشار وزير الداخلية أ. تيكسي إلى أن الاضطرابات شملت ما معدله ثلاث مقاطعات فرنسية مسكونة بما يقرب من مليون نسمة، غير أن المشاركين فيها لم يتجاوز عددهم 50000.[42]

4ردود الفعل اتجاه حوادث مايو 1945: حملت السلطات الفرنسية المسؤولية للجزائريين، وصرحت أن الإجراءات المتخذة كانت ضرورية، للقضاء على بوادر ثورة كان من الممكن أن تقضي على الوجود الفرنسي في

الجزائر، وصرح الحاكم العام للجزائر "شاطينو Yves Chataignau" أن المتظاهرين كانوا مغرورين، وأرسلوا في وسط جموعهم جلادين أقاموا المجزرة.[43]

في 18 مايو 1945 تم تعيين لجنة رسمية بقيادة "توبير Tubert"[44] بتكليف من ديغول،[45] لتحرير تقرير حول أحداث مايو، وذهبت اللجنة إلى سطيف صباح الجمعة 25 مايو 1945 ثم انتقلت إلى قسنطينة وبعد ذلك صدر أمر بإيقاف هذه اللجنة من طرف الجنرال ديغول، والعودة إلى الجزائر العاصمة، وطبعا التقرير الذي لم يستكمل لم يكن محايدا وحمل الجزائريين المسؤولية، والحركة الوطنية خاصة جمعية العلماء المسلمين، لكنه اعترف بالقمع الدموي وضحايا المسلمين،[46] ومن المحتمل أن سبب إيقاف التقرير هو الخوف من اكتشاف هول المأساة أمام الرأي العام.[47]

طالب المستوطنون بشدة بإلغاء جميع الإصلاحات الموجهة للجزائريين، الصادرة أو التي يمكن أن تصدر، وفي 15 مايو طالب أعضاء المجالس المالية بتطبيق إجراءات قاسية على الجزائريين كاستمرار حالة الحصار، وإقامة محاكم عسكرية لمحاربة المقبوض عليهم، وكذلك التسليح الفوري للمستوطنين حتى يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم، خاصة في الأماكن التي لا توجد فيها الحاميات.[48]

تخوف بعض الجزائريين الخاضعين للإدارة الفرنسية أن تكون هذه الحوادث سببا في التقليل من امتيازاتهم، فتكلموا عن ما أسموه الوفاق الفرنسي-الجزائري، ووصفوا حوادث مايو 1945 على أنها مؤامرة القصد منها القضاء على ما حققه الفرنسيون في الجزائر، وإفساد التعايش بين المسلمين والفرنسيين، وتبنت صحيفة النجاح الموالية لفرنسا هذا الموقف[49]

اعتبر الحزب الشيوعي الجزائري حوادث مايو مؤامرة فاشية، وجمع في تنديده بين الاستعماريين والوطنين،[50] ووصف الأحزاب الوطنية بشتى الأوصاف السيئة باعتبارها مسؤولة عن ما حدث،[51] كما حمّل للسلطات الفرنسية

---

[44] تولى توبير منصب حاكم عام على مدينة الجزائر من 1945-1947، ثم رقي في 1947إلى رتبة لواء، ثم مستشار في الإتحاد الفرنسي، توفي عام 1971، نقلا عن: وهيبة بشرير ولخضر حليس، "أحداث الثامن ماي 1945دراسة تاريخية وقانونية"، المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية، مج.6، ع.1، 2022، ص.135

[46] وهيبة بشرير وحليس لخضر، "أحداث الثامن ماي 1945 دراسة تاريخية وقانونية"، المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية، مج.6، ع.1، 2022، ص-ص.135-137

المسؤولية، وأضاف المستوطنين في دائرة المسؤولية، وقد أصدر بيانه الذي عكس موقفه في 13 أغسطس 1945، وقد حاول الشيوعيون النشاط في هذه الفترة في ظل حل الأحزاب الوطنية، ويبدو أن حديثه عن المستوطنين وتحميلهم جزء من المسؤولية كان من أجل جلب أصوات الناخبين الجزائريين، لمحو الصورة التي رسمها عمار أوزقان السكرتير الأول للحزب الشيوعي، عندما صرح لصحيفة الحرية الناطقة باسم الحزب قائلا:"إن العناصر المجرمة، هم زعماء حزب الشعب الجزائري، وعلى رأسهم مصالي الحاج والعناصر المندسة في المنظمات التي تدعي الوطنية."، كان موقف الحزب الشيوعي بعيدا عن باقي تيارات الحركة الوطنية، فقد قبل سابقا إصلاحات 7 مارس 1944، ثم حمل الحركة الوطنية مسؤولية مجازر مايو 1945،[52] نتيجة هذه المواقف لم يتعرض للحل، في حين تم حل حركة أحباب البيان والحرية، وقبلها حزب الشعب الجزائري.

استنكر أقطاب الحركة الوطنية المجازر وحملوا السلطات الفرنسية والمعمرين المسؤولية، وجزم فرحات عباس على أن عمليات التقتيل الفرنسية للجزائريين جاءت بالتعاون بين المستوطنين والسلطات الفرنسية، وكذلك فعل الشيخ الإبراهيمي عندما صرح لمجلة المصور المصرية أن يوم نهاية الحرب العالمية الثانية، كان يوما داميا للجزائريين، حيث دبر المعمرون مذبحة 8 مايو، وكانت قسنطينة مسرحا لهذه الحوادث الفظيعة التي ارتكبتها عصابات المعمرين ضد الأهالي الآمنين، لقد كانت الحوادث من تدبير الاستعمار وأهله، وأصدر المكتب المركزي لأحباب البيان والحرية الذي كان حينها محظورا بيانا يوم 18 مايو 1945 وجه فيه التحية للشهداء الذين سقطوا في ميدان الشرف، بأسلحة الفرنسيين، عديمي الضمير، العنصريين، وأكد البيان أن هدف المناضلين الوطنيين هو الاستمرار في الوحدة الوطنية، بين جميع العناصر الجزائرية، وأكد الشيخ البشير الإبراهيمي "لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور، ثم كتب في آخر هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف وقالمة وخراطة، لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله[53] ."

وتحدث حزب الشعب عن مذبحة وأكد أنه "بالنظر إلى المأساة الجزائرية فإن التقتيل الذي قامت به النازية ليس سوى شيء قليل"، وتحدث عن 45000قتيل، اقتنع عدد من عناصره بمبدأ الثورة المسلحة، وقضى الغضب والحماس الوطني أثناء مظاهرات الأول والثامن من مايو 1945 على آخر تحفظات المناضلين، وكان ما حدث في

سطيف وقالمة إشارة بالنسبة للكثيرين للثورة،[54] لقد كانت المأساة كبيرة لكنها لم تنل من عزيمة وإصرار الجزائريين لمواصلة نضالهم.

5نتائج حوادث مايو 1945: -كانت نتائج الحوادث وخيمة ودامية على الجزائريين، فقد استشهد منهم أكثر من 45000جزائري، من بينهم جنود كانوا راجعين من الحرب بعدما ساهموا في تحرير فرنسا، وطالما رأت فرنسا أنه من الأجدى والأنفع قتل غريمها، لكنها أحيانا لا تكتفي بغريمها فقط، بل حتى أولئك الذين ضحوا في سبيلها بالنفس والنفيس، وساهموا في تحريرها من قيود الاحتلال الأجنبي، ورجعوا من ساحة الوغى معطوبين ومجروحين... فتجازيهم جزاء سينمار، وفي عمالة قسنطينة كانت جثث الفلاحين الذين تم تنفيذ حكم الإعدام فيهم، تنقل للمقابر لكن تبقى مطروحة لا تدفن وحلت حركة أحباب البيان والحرية، وتعرضت الحركة الوطنية لمزيد من المضايقة والخناق،[55] واقتنع أغلب الوطنيين أن فرنسا لا ينفع معها إلا منطق القوة، ورغم كون الحوادث مأساة، إلا أن الجزائريين تلقوا درسا قاسيا مفاده أن السياسة التي لا تكون وراءها حركة مسلحة، فهي تزوير ودجل، وأن محاولة التحالف مع فرنسا هو ضرب من الوهم.[56]

-أشار شارل روبير أجرون أن الانتفاضة قمعت بلا رحمة وبقدر خوف الأوروبيين وكراهيتهم فقد شاركوا هم أيضا في العمليات، وجند الجيش عشرة آلاف رجل من الفرق الأجنبية وطابور المغاربة والرماة السينغاليون خصوصا، كما تدخل الطيران الذي قصف بالقنابل أربعة وأربعين من المشاتي المسكونة من نحو 3000 ساكن كما قنبلت الباخرة الجوالة انطلاقا من شاطئ "أوقاس" مراكز جبال بابور، وبحسب الجنرال "ديفال" "فقد قتلت الفرق أثناء تدخلها ضد "المتمردين" بين 500 إلى 600 من الأهالي" و"قتل اثنا عشر عسكريا وجرح عشرون"، وكانت بمجرد أن تظهر فرق الجيش التي تحرق المشاتي حتى يفر الكثير من المسلمين نحو الجبال ويغيرون مقر سكناهم، وبحسب وزير الداخلية فإن هؤلاء الآلاف من الغائبين المختفين شبهوا بآلاف الأموات وحسبوا ضمنهم"، ومع ذلك واعتبارا لبعض الأمور فإن رقم 500إلى 600قتيل يبدو قليلا بالنظر إلى عنف التدخل الحربي والقنبلة الجوية والبحرية.[57]

- وأضاف أجرون أن القمع الذي قام به المدنيون الذين انتظموا في جماعات للدفاع الذاتي أو في ميليشيات، كان قمعا دمويا بقدر كبير أيضا، ففي سطيف كان يستحيل معرفة عدد المسلمين الذين قتلوا "البعض

يقولون عشرين، البعض الآخر أربعين"، وفي قالمة اعتقل رئيس الدائرة "أشيراي" أعدادا كبيرة من الجزائريين المشتبه بهم بعد انتهاء الأعمال القتالية، وأعدم المئات منهم خصوصا ممن كانوا موقوفون في سجن المدينة على سبيل الثأر، بعد شبه محاكمة في أران الجبس ب(هليوبوليس وميلسيمو)، ونقل تقرير لجنة "تيبار" التي لم تستطع التحقيق في عين المكان الرقم الذي كان متداولا وهو بين 500 و700 ضحية، وفي عزابة أيضا جرت إعدامات عشوائية للمشتبه فيهم، ويقال في الجزائر اليوم أن عددهم كان 127 ضحية، وأخذت هذه الأعمال الثأرية الجماعية أبعادا تصفية الحسابات العرقية.[58]

ونتوقف قليلا عند عدد شهداء المجزرة، فالشائع عند الجزائريين أنهم 45000شهيد، لكن التقارير الصادرة في هذا الشأن كثيرة ومختلفة ومنها من تعمد التقليل أو المبالغة، حتى أصبح من الصعب تحديد عدد الضحايا، خاصة وأن التقارير الفرنسية أشارت للخسائر الفرنسية وتجاهلت خسائر المسلمين، وأشارت إلى عدد قليل من القتلى في سطيف، 30أو 40 شخصا سقطوا في سطيف، أو قد يرتفع العدد قليلا إلى 500 أو600 قتيل، ولم تشر التقارير الرسمية إلى قالمة ولم تقف على ما حصل فيها حقيقة، بل اكتفت بذكر أن هناك تأثر في الأوساط الإسلامية التي تدّعي أن الأوروبيين في قالمة نفذوا انتقامات وأعدموا وقاموا بإيقاف 500أو 700من المسلمين، وتكلم المناضلون الجزائريون عن 45000 شهيد، وكانت التوقيفات كثيرة،[59] و أعلنت الجامعة العربية تأثرها لسقوط 80000قتيل وهو الرقم الذي أعلنته جمعية العلماء وأخطرت الضمير الأمريكي الذي بدا جد مندد.[60]

ذكر شارل أندري جوليان أنه حسب الأرقام التي قدمها كل من الجيش والإدارة أن هناك 1500قتيل من بين الأهالي، وأشار أن كثيرا من الأهالي الفارين رجعوا إلى بيوتهم لما عاد الهدوء، لكن هناك من شكك في الرقم واعتبره منخفض بشكل مضحك، وعلق جوليان على الرقم المنتشر ذكره خاصة عند الولايات المتحدة 40000أو 50000 ضحية بأنه رقم مبالغ فيه، وذكر العسكريون أرقاما تتراوح بين 6000 و8000 ضحية.[61]

وزير الداخلية الفرنسي "تيكسيه"، ذكر في تقريره أن عدد الجزائريين المشاركين في الحوادث قد بلغ 50000 شخص أي 5٪ من السكان، ونتج عن ذلك مقتل 88 فرنسيا و 150جريحا، أما من الجانب الجزائري فمن 1200إلى 1500 شهيد، ولم يذكر الجرحى، و2400 معتقل أطلق سراح 517 منهم وحوكم

الباقي، ويلاحظ أن كثيرا من الأحكام قد صدرت بالإعدام على يد المحاكم العسكرية، وتقدر التقارير الجزائرية بين 45000إلى 1000000شهيد، أما التقديرات الأجنبية فتختلف قليلا، فبعضها يقترب من إحصاء الفرنسيين، وبعضها يقترب من إحصاء الجزائريين، وهي في الغالب من 50000إلى 70000، وقدرت "النيويورك تايمز" بعد حوالي شهرين ونصف من الحادثة عدد القتلى من 7 آلاف إلى 18 ألفا عندما استعمل الفرنسيين القنابل والإعدام الجماعي حسب تعبيرها، ولم يعرف العالم كثيرا عن حوادث مايو 1945 لأن فرنسا كانت سريعة في طمس الأمر.[62]

كان عدد الضحايا من الجانب الفرنسي حسب فرحات عباس 102 ضحية، قليل منهم من المعمرين، وبعضهم ضحايا ممن كانوا متعاطفين مع حركة أحباب البيان والحرية،[63]في حين قدرتهم مراجع أخرى ب103 من القتلى، و110 من الجرحى،[64]وهناك من أشار إلى 98 قتيلا منهم 34 موظفا، و150 جريحا.[65]

وبالإضافة للشهداء تم إيقاف عدد كبير من الجزائريين:تم تسجيل رقم 5560 في نوفمبر1945، ومنهم 3696 في ناحية قسنطينة، 1359 في ناحية مدينة الجزائر، 505 في الناحية الوهرانية،[66] واعترف وزير الداخلية بالتوقيف القانوني لما يقارب من ألف شخص، وصرحت المحاكم العسكرية ب1319 حكما منها 99 إعداما، 64 حكما بالأشغال الشاقة المؤبدة، 329 حكما بالأشغال العامة بمدة معينة، 250تبرئة، 577 من غير حكم، وفي سنة 1946 خلال مناقشة في الجمعية العامة الاستشارية تم الحديث عن نفس الأرقام والمعطيات تقريبا، مما يؤكد أن الجزائريين عانوا معاناة كبيرة حقا[67]، مع العلم أن أغلبية الاعتقالات دون مذكرة توقيف، وتم إلقاء القبض على أعضاء من حزب الشعب الجزائري، ومن أحباب البيان والحرية، ومناضلين نقابيين، وسكان قرى لم يحركوا ساكنا.[68]

تم إلقاء القبض على فرحات عباس وزميله الدكتور سعدان عندما كانا في قاعة الانتظار في الولاية العامة بالجزائر، في 8 مايو 1945 على الساعة العاشرة ونصف، وكانا هناك لتهنئة ممثل فرنسا على انتصار الحلفاء، ولأن فرحات عباس كان في السجن فإنه لم يطلع على الحوادث إلا بعد أسبوعين، وكان قاضي التحقيق العسكري

---

[66] إحصائيات جوليان أقل منها إذ يذكر:في نوفمبر 1945 بلغ عدد الموقوفين 4560، منهم 3696 بمقاطعة قسنطينة، و505 بجهة وهران، 395 بمقاطعة الجزائر العاصمة، وحكمت المحاكم العسكرية على 557 بعدم سماع الدعوى، وأصدرت 1307أحكام منها 99 بالإعدام، 64 بالأشغال الشاقة مدى الحياة، و329 بالأشغال الشاقة لمدة معينة وحكمت بالبراءة لفائدة250. ينظر: شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ص. 336

قد اتهمه بالمس بالسيادة الفرنسية، ووجهت لفرحات عباس تهمة أخرى وهي المس بسيادة الدولة الداخلية، ثم تهمة أخرى وهي المس بسيادة الدولة الخارجية، وتم استنطاقه على يد ثلاث قضاة تحقيق عسكريين، وزج به في أربعة سجون، ودافع عنه أحد أصدقائه المحامي "جينود"، رغم قرار نقيب المحامين بالعاصمة "فروليز" الرامي إلى منع المحامين من الدفاع عن المسلمين، وطال استنطاق عباس فرحات في سجن قسنطينة مدة ستة أشهر، وفي هذه الفترة انتحر الكولونيل الذي عين كمندوب للحكومة لمحاكمة عباس، وقد قام رجل الدين المرشد لهذا الكولونيل بإخبار فرحات عباس سرا: بأن ضمير هذا الضابط الطاهر لم يسمح له بأن يزيد على الجرائم التي شاهدها، جريمة متابعة الأبرياء والحكم عليهم، فاختار الانتحار على أن يقترف جريمة أخرى، وتم إطلاق سراح فرحات عباس بتاريخ 16 مارس 1946 لما صوت المجلس التأسيسي الأول على قانون العفو العام.[69]

-أعلنت فرنسا حالة الطوارئ، وألقي القبض أيضا على الشيخ الإبراهيمي وعلى عشرات الآلاف من رجال الجمعية وأنصارها وأتباع الحركات الوطنية الأخرى، ووصف الإبراهيمي اعتقاله بأنه سيق إلى السجن العسكري بالعاصمة ليلا يوم 27 مايو 1945، وظل في زنزانة ضيقة نحو سبعين يوما وبعد مائة يوم نقلوه في طائرة إلى السجن العسكري أيضا في قسنطينة لمحاكمته، وساءت صحته فكان يؤخذ تارة إلى السجن وأخرى إلى المستشفى العسكري، ودام الأمر أحد عشر شهرا.[70]

-تكبد الجزائريون الكثير من التنكيل والتعذيب والدمار، ورغم ذلك لم يحصل الجزائريون على حل لقضيتهم، وبقيت الأمور على حالها من جانب فرنسا،[71] بل زادت سوءا فقد تم حل أحباب البيان والحرية في 15 مايو، وأخبر عميد المحامين بالجزائر العاصمة "قروليار" زملاءه بأن مجلس هيأة المحامين يرى أنه من الأفضل أن لا يقبل المحامون تعيينهم للدفاع إلا من قبل المحكمة، ولان هذا الأمر غير مقبول اتصل وزير الداخلية بوزير العدل بشأن هذا المقترح، وتسلطت فرنسا على الرقاب فقد حكم على معلم بالسجن لمدة سنتين لمجرد نظره للوالي المساعد.[72]

-رغم القمع الوحشي من طرف فرنسا للجزائريين إلا أن المجازر شكلت تحولا هاما على أكثر من صعيد، وأدرك الشباب الجزائري أن هذه المجازر هي خط فاصل بين ماضي الجزائر ومستقبلها، وأقبل الشباب على الانخراط في العمل السياسي، كما رسخت المجازر لدى الجزائريين فكرة ضرورة الكفاح المسلح، من أجل القضاء على الاستعمار، وبدأ الشباب بصورة جدية يبحثون عن سبل تحرير بلدهم، وكان من نتاج ذلك احتكاك الأرياف

بالعمل الحزبي وتبني شعارات وطنية، وأصبحت كلمة جهاد تلهب حماس الشباب،[73] واعترف الفرنسيون لاحقا أن القمع الدموي خلال مظاهرات الثامن مايو كان أحد أهم أسباب الثورة التحريرية، ومن بينهم توبار صاحب التقرير الذي أكد أن القمع الدموي كان غلطة كبيرة، فالنزاع المسلح ويقصد به الثورة التحريرية 1954، قد تولد جزئيا من ذلك القمع الأعمى،[74] هذا هو أمر المؤمن كله خير، فعسى أن يكره شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا.